العدد 118 .27/21 يونيو 2003

عبد الرحمان رشيق*

"التأطير الإيديولوجي هو السبب"

"لقد أظهر الإسلاميون قوتهم وعضلاتهم منذ 2001 من خلال مسيرة الدار البيضاء، ومنذ ذلك الحين برزت أدبيات تفيد نية الاكتساح.

إنني ضد الفكرة التي روج لها الصحافيون بكثرة ومفادها أن الفقر والتهميش هو الذي أنتج ظاهرة العنف المتطرف من خلال تفجيرات البيضاء، لا يجب في اعتقادي الربط بين الأمرين، إذ أرى أنه لا علاقة بين الفقر الهامشي وتفجيرات البيضاء، بدليل أن من قاموا بها لم تكن لهم سوابق إجرامية، بل كانوا مؤطرين إيديولوجيا.

لقد كانوا معبئين ليقوموا بما قاموا به، سيما أنهم لم يكونوا حاصلين على تعليم في المستوى، وهو ما يفسر بلوغهم لحد من التعبئة دفعهم إلى تفجير أنفسهم، وهم في ذلك لا يلتقون مع نفسية المجرم الذي يقتل ويسرق ويهرب، أما التعبئة التي تلقاها مفجرو البيضاء، فكانت بهدف دفعهم إلى الاستشهاد. وهي تعبئة قد يلتقي فيها قاطن الكاريان أو الشقة، أو سيدي عثمان أو سيدي مومن، بل الأساس هو الملمح الهش في شخصية المنتحر، ولا يخفى أن المؤطرين يبحثون عن أشخاص بمثل هذا الملمح الطيع.

ثمة ملاحظة أخرى بصدد ما رددته الصحافة كثيرا حول مسؤولية الدولة بتركها أحزمة سكنية في فقر وتهميش، وبالتالي ربط ذلك بالتفجيرات. إن هذا غير صحيح، نعم إن الدولة تتحمل مسؤولية هذا الوضع الاجتماعي المزري، غير أن ذلك ليس نتيجة حتمية للعنف الذي حدث، إن تربة العنف تجد أسبابها في جوانب أخرى، بدليل أن المغرب كان دائما فيه فقر غير أننا لم نر أبدا مثل تلك التفجيرات المدوية إلى درجة أن يذهب المرء إلى قتل نفسه وآخرين.

إن الأرضية الخصبة تتمثل في الجانب الإيديولوجي الذي يطرح مسألة دور الأحزاب والجمعيات.

إن الأدبيات الدينية المحرضة على العنف موجهة لنمط حياة معينة، وفي هذا السياق يمكن أن نضع مظاهرة الإسلاميين ضد خطة إدماج المرأة في التنمية سنة 2001، وكذلك ما حدث للصحافية المصورة في البرلمان مع بعض نواب حزب العدالة والتنمية. وقيام مصطفى الرميد بنعت من يدرسون في البعثات الأجنبية بأنهم ليسوا مغاربة وغيرها وما وقع في قاعة ميغاراما مع ممثل فرنسي...

إن المناهضين لنمط الحياة بهذا الشكل يريدون التفرد من خلال المزايدة في المجال الديني، وهو تفرد يتمظهر في اللباس والسلوك... إلخ، والمشكلة هو السعي إلى فرض هذا التفرد على الآخرين".

* باحث سوسيولوجي